مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ٧–١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهبةِ المسيح* فلذلكَ يقولُ لمَّا صعِدَ إلى العُلى سبى سبيًا وأعطى النّاسَ عطايا* فكونُهُ صعِدَ هل هو إلاَّ أنّه نزلَ أولاً إلى أسافلِ الأرض* فذاكَ الذي نزلَ هو الذي صعِدَ أيضاً فوقَ السمواتِ كلِّها ليملأ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلّمين* لأجلِ تكميلِ القديسينَ ولعَملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسَدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ ملءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٢–١٧)

في ذلك الزمانِ لمَّا سمعَ يسوعُ أنَّ يوحنا قد أُسلِمَ انصرفَ إلى الجليل* وتركَ الناصرةَ وجاءَ فسكنَ في كَفْرَناحومَ التي على شاطئِ البحرِ في تخومِ زبولونَ

المعمودية

في غمرة عيد الظهور الإلهي يُقبل المؤمنون إلى تعميد أولادهم، متشبّهين بمعموديّة الرب يسوع على يد يوحنا السابق أو بفعل العادة والتقاليد الشعبيّة. على كلّ حال فإن تعميد أولادنا هو فعل مبارك إذ يدخل المعتمد في شركة جسد الرب يسوع الذي هو الكنيسة.

معموديتنا ليست صورة عن معموديّة الرب يسوع على يد السابق، لأن معمودية يوحنا كانت معمودية توبة فقط ولم تتعدّ ذلك. معموديتنا صارت بعد موت الرب يسوع المسيح وقيامته من بين الأموات، وهي صورة عن موت الرب وقيامته، وهذا ما نقرأه في رسالة خدمة المعمودية: «اننا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآب هكذا نسلكُ نحنُ أيضاً في جِدّة الحياة. لأنّه إن كنّا قد صِرنا متّحدينَ معهُ بشبهِ موته نصيرُ أيضاً بقيامته» (رو٦:٣–٥). في المعمودية نموت مع المسيح لنقوم معه. ولكن كيف نموت ونحن نرى أنفسنا أحياء بعد، ونفرح عندما نرى أولادنا خارجين من جرن المعمودية وهم على قيد الحياة، وفي آخر الخدمة نهنّئ بعضنا بعضاً هاتفين «عمادة مباركة». كيف نموت ؟ نموت عن الخطيئة.ما معنى الموت عن الخطيئة، وما معنى الخطيئة؟

ليست الخطيئة فعلاً نقترفه وحسب، ولكنها حالة الابتعاد عن الله. أي عندما لا يكون الله سيّد حياتنا، بل شهواتنا هي السيّد. عندما لا يكون الله مركز حياتنا بل أنفسنا. في المعموديّة ننفض الخطيئة عنا لنسلك في «جدّة الحياة»: «لا تملكنّ الخطيئةُ في جسدكم المائت لكي تُطيعوها في شهواته، ولا تُقدّموا أعضاءَكم آلاتِ إثمٍ للخطيئة، بل قدِّموا ذواتِكم لله كأحياءٍ من الأمواتِ وأعضاءكُم آلاتِ برٍّ للهِ» (رو٦: ١٢–١٣).

في المعموديّة نقدّم ذواتنا لله. ولكن لننتبه إلى هذا الأمر جيّداً. عندما أقدّم شيئاً لشخص آخر أكون قد تخلّيت عن ملكيّتي لهذا الشيء ولا أستطيع بالتالي التصرّف به بعد الآن. وعندما نقدّم أنفسنا لله نجعله سيّدها المطلق، أي لا يعود من حقّنا التصرّف بحياتنا كما نشاء، إنّما نصير أدوات لمشيئته. قد يقول قائل: «هذه عبوديّة والله حرّرنا بتجسّد الرب يسوع وموته وقيامته من بين الأموات». نعم، لقد حرّرنا الرب

> **العدد ٢/٢٠٠٤**
> **الأحد ١١ كانون الثاني**
> **الأحد بعد الظهور الإلهي**
> **تذكار البار ثاودوسيوس**
> **رئيس الأديرة**
> **اللحن الخامس**
> **إنجيل السَحَر الثامن**

ونفتاليمَ* ليتمَّ ما قيلَ بإشعياءَ النبي القائل: «أرضُ زبولونَ وأرضُ نفتاليم طريقُ البحرِ عَبْرَ الأردنِ جليلُ الأمم* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بقعةِ الموتِ وظلالهِ أشرقَ عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرزُ ويقولُ: توبوا، فقد اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

لنتبْ، يا أخوة، ما دام لنا وقت. فقد سمعتم قول المسيح: «هكذا يكون فرحٌ عند ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥:١). أيها الخاطئ، لماذا تتوانى ولماذا تيأس إذا كان يصير في السماء فرحٌ إن تبتَ؟ فمن تخاف؟ الملائكة يفرحون، أفتتوانى أنت؟ رئيس الملائكة هو الكارز بالتوبة، أترهب بعد؟ الثالوث الطاهر، الذي لا يسعه مكان والمسجود له هو يدعوك، أفتتنهّد بعد؟ فلا تشعر بحلاوة الاهتمام بهذا العالم لئلا تمرمرنا النار الخالدة والدود الذي لا ينام.

فلنبكِ هنا قليلاً لئلا نبكي هناك بكاءً مؤبداً إذا ما عُذِّبنا. احذروا أن يتقاعس أحدكم فإنِ مجيء المسيح يكون بغتةً كالبرق. في تلك الساعة يحمل كل واحد وقر نفسه، ويحصد كل واحد ما زرعه. سيقف كل واحد بخوف ورعب منتظراً أن يسمع القضاء من الله. فلِمَ يسوع من الخطيئة ومن الموت، ولكنّه جعلنا عبيداً له، عبيداً للحق وهو القائل: «أنا هو الطريقُ والحقُّ والحياةُ» (يو ١٤:٦) و«إنَّكم إن ثَبَتُّم في كلامي فبالحقيقةِ تكونون تلاميذي وتعرفون الحقَّ والحقُّ يُحرِّرُكم» (يو٨: ٣١-٣٢). فكل عبودية لغير الحق تؤدي بنا إلى الخطيئة، إلى الموت.

نحن نستعبد أنفسنا لمن نجعله سيّدنا كائناً من كان. والأسياد في هذه الدنيا كثيرون: المال أو المظهر أو الرتبة أو النظام أو الحزب أو القضية... وقد نموت من أجل هذه كلها. كل عبوديّة غير عبوديّتنا لله هي عبوديّة للخطيئة، و«أجرة الخطيئةِ هي موتٌ، وأمَّا هِبَةُ اللهِ فهي حياةٌ أبديَّةٌ بالمسيحِ يسوعَ ربِّنا» (رو٦: ٢٣). هنا يكمن الفرق: باستعباد ذواتنا لله نحصل على الحياة الأبديّة: «وأمَّا الآنَ إذ أُعتِقتُم من الخطيئةِ وصِرتُم عبيداً للهِ فلكم ثمَرُكم للقداسةِ والنهايةُ حياةٌ أبديَّةٌ» (رو٦:٢٢).

لننتبه إذاً إلى ما نقوم به ولنحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربّنا (رو ١١:٦) ولنهتف مع الرسول بولس: «مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. فما أحياهُ الآنَ في الجسدِ فإنَّما أحياهُ في الإيمان، إيمانِ ابن الله الذي أحبّني وأسلَمَ نفسَهُ لأجلي» (غلا ٢:٢٠).

قداس رأس السنة

صباح الخميس ١ كانون الثاني ٢٠٠٤ وبمناسبة ذكرى ختانة السيد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس وألقى بعد الإنجيل العظة التالية:

«باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

حزنٌ عميقٌ غمرنا جميعنا نحن اللبنانيين في الأيام الأخيرة من السنة المنصرمة. كلنا تألّمنا لما حصل لأبنائنا اللبنانيين الذين فارقونا إلى الغربة ومنها إلى الله. كذلك تألّمنا بسبب الزلزلة التي هزّت بلاد إيران فقتلت عشرات الآلاف وشرّدت الباقين الذين يقبعون الآن في البرد والجوع والمرض والموت.

في هذا اليوم الذي به نبتدئ السنة المدنية نرفع الصلاة معاً لكي يأخذ الرب في محبته ورحمته جميع الذين انتقلوا إليه، ونسأله أن يمطر على قلوب الحزانى تعزياته الكبيرة التي بها تتحوّل القلوب إلى الثقة والرجاء بخالقها. كما نسأله لنا نحن التوبةَ إليه لأن ما حصل قد يحصل لكل منا إن في لبنان أو في إيران أو في أي بلد آخر. لقد استشعرنا جميعاً الجانب المحزن الأليم، إنما هناك الأمثولة أن الحياة ليست في أيدينا بل أُعطيت لنا وتؤخذ منا في أية ساعة يشاؤها الله. الرب يطلب منا أن نسهر وأن نستعد للقياه في أي زمن وأية لحظة يأتي إلينا فيها. صلواتنا القلبية العميقة أن نرى هذه الوجوه المعفّرة بالألم والحزن والدمع تنعم بالرجاء والفرح القيامي. كما نسأل الله أن يجعل السلام في هذه الأرض وفي شعبها لأن الإنسان فيها يرنو إلى الشر أكثر منه إلى الخير ويتجه نحو البغض عوض أن يتجه بالمحبة نحو الآخر. نسأله تعالى أن يجعل هذا الشرق الأوسط شرقاً يُطلع الضوءَ للناس عوض الظلمة الشريرة، وأن يجعل العالم في هدوء وسكون فيهما الناس يتحابون. وأسأله لبلدنا أن تنسكب القناعةُ في قلوبنا وأن نعمل بما أوصانا: «أحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا».

في خدمة الإكليل نطلب من المرأة أن تطيع رَجُلَها، ولا نقصد بهذا الكلام ذلاً أو تراتبية بل انسجاماً ووحدة وقيادة يُتفق عليها. ونقول للرجل أحبب امرأتك

نضطجع بعدُ ولا نستعد؟ لماذا لا نهتم بالحجج التي نعتذر بها ما دام لنا وقت؟ لِمَ نستهين بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح.

أفتظنون أن أقواله وأقوال القديسين والأنبياء لا تديننا في ذلك اليوم؟ قد سمعتم ما قاله الرب لتلاميذه: «من يسمع منكم فقد سمع مني، ومن احتقركم فقد احتقرني، ومن احتقرني فقد احتقر الذي أرسلني» (لو ١٠:١٦). «من رذلني ولم يقبل أقوالي فله من يدينه. الكلمة التي نطقتُ بها هي تدينه في اليوم الأخير» (يو١٢:٤٨). وما قاله في مكان آخر: «السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» (متى ٢٤: ٣٥).

فهلمّ إذاً، يا إخوتي، قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب لنلقِ أنفسنا في لجة رأفات الله. فقد سبق له أن دعانا قائلاً: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأنا أريحكم» (متى ١١:٢٨). فالوادُّ الناس والمحتمل البشر يدعو الجميع في كل حين. المتحنّن والطويل الأناة على الجميع «يريد أن جميع الناس يخلصون» (١تيمو ٢:٤). هو لا يدعو المختصين به، بل الجميع قائلاً: «تعالوا إليّ جميعكم فإني لا أخرج خارجاً من يقبل إليّ» (يو٦:٣٧). من هو الذي يقبل إليّ؟ هو الذي عنده وصاياي ويحفظها ويسمع قولي ويؤمن بي وبمن أرسلني.

كما أحب اللهُ الكنيسةَ وبذل نفسه لأجلها أي أحبب هذا الكائن الآخر الذي وهبك إياه الله، حتى الدم، كما بذل يسوع نفسه على الصليب ضحيةً من أجلك ومن أجل زوجتك وكل إنسان.

أسأل الله أن نحافظ على الوصية «أحبّوا بعضكم بعضاً» لأن ما نحتاجه في لبنان هو المحبة الحقيقية عوض أن يطعن أحدنا الآخر ويشتمه. أسأل الله أن يجعل المسؤولين عنا تائبين إليه، تائبين إلى المحبة، متجاوزين الأنا المتسلّطة. وإذا أحببنا بعضنا بعضاً تصبح هذه البقعة الجميلة التي أنعم بها الله علينا مرتعاً لكل من لجأ إلى الأمان والسلام والمحبة والوداعة.

أن نحب، أن يضحي واحدنا من أجل الآخر ليس بالأمر السهل. أن تنكر ذاتك لكي يحيا الآخر عملٌ ينبع من الصليب الذي يحيي، الصليب الذي سُمّر عليه ابن الله من أجل خلاصنا، بسبب محبته العميقة لنا.

نحن نعيّد اليوم لختانة الرب يسوع الذي كان من الشعب العبري. طلب الله من ابراهيم أبي المؤمنين جميعاً أن يكون عهدٌ بينه وبين ابراهيم ونسله. «وقال الله لإبراهيم... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كلُّ ذَكر، فتُختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يُختن منكم كلُّ ذكر في أجيالكم... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً» (تك ١٧: ٩-١٣). هذا العهد كان بالدم. عندما تعطي دماً فأنت تعطي حياة. حياتك التي سُفكت بقطع هذا اللحم قد سُفكت من أجل أن تكون واحداً مع الله ومن أخصائه. لكن الختان ليس ظاهرياً. الختان الحقيقي هو ختان القلب، عندما نقطع من قلوبنا كل ما التصق بها من أمور تؤذيها ومن أوساخ ورذائل وشهوات سيئة وميول ضارة: «فاختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلّبوا رقابكم بعد لأن الرب إلهكم هو إلهُ الآلهة وربُّ الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوةً، الصانع حقَّ اليتيم والأرملة والمحبُّ الغريب ليعطيه طعاماً ولباساً... الربَّ إلهك تتقي، إياه تعبد وبه تلتصق...» (تثنية ١٠: ١٦-٢٠).

نعيّد للختانة اليوم لكي يكون الرب يسوع قدوة لنا فنقطع من أجسادنا ومن نفوسنا والقلوب كل ما يقف حاجزاً أو عائقاً بين الإنسان وبين التصاقه بالله.

عندما بلغ يسوع سن الإثني عشر (وهو العمر الذي فيه يتعلّم اليهودي الكتاب) أخذه أبواه إلى أورشليم وفي طريق العودة أضاعاه ثم وجداه في الهيكل، فسألته أمه لِمَ فعل بهما هكذا فأجابها «لماذا تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟» الطفل يسوع كان يعلم انه عندما خُتن أصبح يخص الله لذلك قال لأمه ان عليه أن يكون لله أولاً ثم لأبويه، وهذا ليس تمرّداً لأنه ذهب بعدئذ معهما إلى الناصرة «وكان خاضعاً لهما». وهذه الطاعة نابعة من اتحاده بالله.

المسيحي يُختن بالمعمودية، يُختن بختان غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه» (كو ٢: ١١-١٢)، «نحن الختانُ، الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع» (في ٣:٣)، لأن الختان الذي في الظاهر في اللحم ليس ختاناً بل ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحُهُ ليس من الناس بل من الله (رو ٢: ٢٨-٢٩).

المعمودية تُميت الجسد من حيث انه أداة الخطيئة (رو ٦:٦) وتجعله مشاركاً في الحياة من أجل الله في المسيح (رو٦:١١).بالمعمودية يتحوّل الإنسان كلياً ويصبح للمسيح. خاتم الروح

مغبوط هو من يسمع قوله ويحفظه، وشقيٌ هو من يخالفه لأن ذلك الكلام سيدينه في اليوم الأخير، كما كتب: «إن الوقوع في يدي الله الحي أمر هائل» (عب ١٠: ٣١) فتبْ، أيها الأخ، ولا تقنط . تبْ، أيها الخاطئ وأنت واثق وناظر إلى تعطف المسيح القائل: «إني لم آتِ لأدعو صدّيقين بل خطأة إلى التوبة» (لو٥: ٣٢). تب لئلا تخجل أمام الموقف الرهيب حيث يقف برعدة ألوفُ ألوفٍ وربواتٌ من الملائكة ورؤساء الملائكة، وحيث تصير الأشياء المكتومة ظاهرة، وتُفتح الكتب، ويميّز الرب بعضاً من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء (متى ٢٥: ٣٢). فتُفتح الكنوز ويتمتع بها الصِدّيقون. حينئذ طوبى للذين جاعوا وعطشوا إلى البر فإنهم سيشبعون هناك (متى ٥: ٦) وويلٌ للمشبعين فإنهم سيجوعون ويعطشون (لو٦: ٢٥) وطوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم سيضحكون ويفرحون، وويلٌ للضاحكين الآن فإنهم سينوحون ويبكون بلا فتور (لوقا ٦: ٢٥) طوبى لمن رحموا فإنهم سيُرْحَمون (متى ٥: ٧). وويل للذين لا رحمة عندهم.

البار افرام السرياني

القدس الذي نُختم به في المعمودية يجعلنا مكرَّسين لله، إنما علينا أن نجاهد باستمرار من أجل الحفاظ على هذه الحالة. على المسيحي أن يحافظ على نفسه وعلى حياته. عليه أن يقدّم نفسه للمسيح، أن يضحي بالأنا من أجل الآخرين لكي ينقذها. لا يمكنك أن تتبع يسوع بدون اتخاذ الخيارات الحاسمة والصعبة في ما يختص بولائك الأساسي والنهائي ليسوع المسيح. قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «روّض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١ تيم ٤: ٧-٨). روّض نفسك على الأعمال الصالحة، روّض نفسك على قراءة الكتاب، روّض نفسك على الأخلاق الحميدة، على ضبط أهوائك وشهواتك، روّض نفسك على مجابهة كل شر.

فيما نحن نتألم كشعب، أطلب من الذين يمارسون الحقد أن يقوموا برياضات روحية لتنقية نفوسهم. إذا كانوا فعلاً مؤمنين بالله، يحبّونه ويطيعونه، لِمَ لا يستلهمون تعاليمه؟ هل يعلّمنا الله أن نكره الآخر وننبذه ولا نحبه أو نتعاون معه؟ خصوصاً إذا كان التعاون من أجل الخدمة، والخدمة لا تخص النفس بل الآخرين. خدمة الآخرين تجمع إلا إذا كانت من أجل مآرب شخصية أو من أجل مصلحة الجماعة والعشيرة والأزلام.

في بلدنا المسلمون يُختنون والمسيحيون يُعمّدون وفي الحالتين تكريس لله. ومن يخص الله يحب الآخر ويحترمه ويتعاون معه ويحتمله لأن «المحبة تحتمل كل شيء» (١كو ١٣: ٧). نحن بحاجة إلى الصدق، الصدق في العلاقات وفي النوايا وفي الإيمان بالله لأننا إن لم يستطع الله توحيدنا فلن يوحدنا شيء لأن ما ليس مستطاعاً عند الإنسان مستطاعٌ عند الله. نحن بحاجة إلى النقاء، نقاء القلب ونقاوة اليد ليعم هذا النقاء وطننا ونتخلّص من الفساد والإفساد والرشوة والارتشاء - الذي أصبح مساراً محموداً عند بعض الناس - وسرقة المال العام، المال الممزوج بعرق الفقير ولا يتوانى بعضهم عن استباحته أو العبث به. إنّ على من يمس مال الدولة أو أي مال ليس ملكاً له أن يقطع جيبه لكي لا يكون هذا الجيب طريقه إلى الهلاك. عليه أن يقطع يده إن كانت تمتد إلى عمل الشر: «إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك... وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم» (متى ٥: ٢٩-٣٠). معظمنا يتكل على المال أو الجاه أو القبيلة والجماعة والطائفة عوض الاتكال على الله. لذا، نطلب منهم القيام برياضات روحية كما يقومون بالرياضات الجسدية، نطلب منهم التأمل في كلام الله والسير في طرقه المستقيمة التي تؤدي إلى رضاه ورحمته.

أضاء الرب قلوبنا جميعاً بمحبته ليعود بلدنا مشرقاً بنور الرب آمين».

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٤ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ١٧ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.